
أسلوب الرفق واللين
الطريق إلى قلوب الناس
في دعوتهم إلى الله تعالى
سامي منصور محمد سيف



أسلوب الرفق واللين:

الطريق إلى قلوب الناس في دعوتهم إلى اللّه تعالى

للباحث:
سامي منصور محمد سيف

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

لا شك أن القلوب تميل إلى من يلين ويرفق بها، وتنفر من الفظ الغليظ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [سورة آل عمران:159]، وفي الحديث عنه ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في سياق ما يحتاجه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر: فلا بد من هذه الثلاثة: العلم؛ والرفق؛ والصبر؛ العلم قبل الأمر والنهي؛ والرفق معه والصبر بعده وإن كان كل من الثلاثة مستصحبا في هذه الأحوال؛ وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعا: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به؛ فقيها فيما ينهى عنه؛ رفيقا فيما يأمر به؛ رفيقا فيما ينهى عنه؛ حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه"[2].

والداعية إلى الله سبحانه وتعالى في أمس الحاجة إلى التفاف الناس حوله، وإمالة القلوب إليه، ومن الأمور التي تساعد على تحقيق ذلك تحليه "بأسلوب بالرفق واللين".

وفي هذه المبحث سأتناول –بمشيئة الله تعالى– أسلوب الرفق واللين في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، في عدة محاور، وهي على النحو التالي:

([1]) صحيح البخاري: (9/ 16).

([2]) ينظر: مجموع الفتاوى: (28/ 137)، والاستقامة: (2/ 233).

المحور الأول:
المقصود بالرفق واللين.

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم وحال الرسل عليهم السلام ودعوتهم لأقوامهم، وما سار عليه سلف الأمة رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في الدعوة إلى الله يعلم يقينا مدى أهمية الرفق واللين في حياة الإنسان عامة، وفي حياة الداعية خاصة، فهو أحوج من غيره للتخلق بهذا الخلق والتفقه فيه.

تعريف الرفق واللين في اللغة:

أولا: الرفق لغة

مصدر رفق، ورفق، فعل: ثلاثي لازم، وهو ضد العنف و أتى بمعاني عدة منها: لطف به، وألان جانبه له، وأحسن الصنيع له، وعامله برفق، ونفعه وأنفعه، ويعاملهم معاملة حسنة فيها رقة ولطف، ويعطف عليهم(1).

ثانيا: اللين لغة.

مصدر لان، وهو ضد الخشونة، و أتى بمعاني عدة منها: هو في ليان من عيش، أي نعمة، وفلان ملينة، أي لين الجانب، و ألينه: صيره لينا، ويقال ألان للقوم جناحه: أخذهم بالملاطفة(2)، ويؤيد ما سبق قوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ

(1) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، باب القاف، فصل الراء، (118/10)، ومعجم مقاييس اللغة: ابن فارس، باب: الراء والفاء، مادة رفق، (418/2)، ومختار الصحاح: الرازي، باب ر ف ق، (126/1)، القاموس المحيط: الفيروز بادي، فصل الراء، (887/1)، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، باب الراء، (362/1).

(2) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، باب النون، فصل اللام، (393/13) ومعجم مقاييس اللغة: ابن فارس، باب: اللام والياء، مادة لين، (225/5)، ومختار الصحاح: الرازي، باب ل ي ن، (288/1)، والمعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، باب اللام، (850/2).



﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ سبأ: ١٠.

الفرق بين الرفق واللين:

مما سبق تبين أن الرفق واللين مترادفان في المعنى اللغوي وأنهما: أصل دل على التلطف في الدعوة إلى الله تعالى، ولين الجانب للمدعوين، مع محاولة تحقيق المقصود بأيسر الطرق وألطفها.

وبعد بيان المقصود من الرفق واللين لغة لزم بيان المقصود منهما اصطلاحا وهو لا ينفك عن مقصود اللغة كما يلي:

تعريف الرفق واللين اصطلاح :

تتنوع تعريفات العلماء للرفق واللين فمنهم من توسع فيه ومنهم من قيدها، وهي على النحو التالي:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[(1)] مقصود الرفق واللين فقال: "لطف في القول يوصل به إلى المخاطبين حقيقة البيان، مع الحلم والصبر على الأذى"[(2)].

وكذلك بين مقصوده ابن القيم رحمه الله[(3)] بقوله: "سكينة ووقار وتواضع، من غير

(1) هو شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية: سمع من خلق كثير وأكثر وبالغ وقرأ بنفسه، توفي رحمه الله معتقلاً بقلعة دمشق في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة (728ه). ينظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي، (394/2)، الوافي بالوفيات: الصفدي، (11/7)، الأعلام للزركلي: (144/1).

(2) جامع المسائل لابن تيمية، 390/4، وانظر: الاستقامة، لابن تيمية،231/2.

(3) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، مولده ووفاته في دمشق، ولد سنة (691هـ) وتوفي سنة (751هـ) تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، ألّف تصانيف كثيرة منها: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ينظر: الوافي بالوفيات: الصفدي (195/2)، والبداية والنهاية: ابن كثير (234/14-235)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر، (5/ 137)، الأعلام للزركلي، (6/ 56).



أشر، ولا مرح ولا تكبر"[1].

وقال ابن حجر رحمه الله هو: "لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف"[2].

وجاء في عون المعبود هو: "المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها"[3].

وفي موسوعة نضرة النعيم هو: "سهولة الانقياد للحق والتلطف في معاملة الناس عند التحدث إليهم"[4].

ويدل على ما تقدم قوله تعالى:﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٣ - ٤٤.

فتبين أن الرفق واللين مترادفان اصطلاحاً ويقصد بهما: لين الجانب بالقول والفعل والموقف، والأخذ بالأسهل والألطف، وهو أهم ما يكون في حياة المسلم وبالذات في حياة الداعي؛ لأنه يواجه الكثير من الأشياء التي يحتاج فيها إلى الرفق واللين، وقد كان الرسول ﷺ هو القدوة لجميع الدعاة في هذا الجانب، فهو أرفق الناس بأمته عليه الصلاة والسلام.

وللرفق واللين مترادفات وهي: الرأفة، والرحمة، والشفقة، واللطف.

---

(1) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية، (310/2).

(2) فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، (464/10).

(3) عون المعبود: محمد أشرف، باب في الرفق بالكسر ضد العنف، (112/13)، وتحفة الأحوذي: لمباركفوري، باب ما جاء في الرفق، (130/6).

(4) موسوعة نضرة النعيم: مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، (3296/8).

المحور الثاني:
مظاهر الرفق واللين في الدعوة إلى الله تعالى.

للرفق واللين مظاهر عديدة تبرز مكانته في الدعوة إلى الله تعالى، وهي على سبيل المثال لا الحصر، فيما يلي:

1 - الرفق واللين بالنفس.

لقد اهتم الإسلام بالنفس البشرية، وكانت عناية القرآن بالنفس شاملة كاملة لكل دقائقها لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ غافر: ١٩.

والمتتبع لنصوص القرآن والسنة يجد أنها قامت على أساس الرفق ورفع الحرج عن المكلف، قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ المائدة: ٦، والمسلم لا يحمل نفسه من العبادة مالا تطيقه.

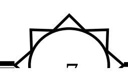
فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**"[1].

ويتجلى هذا الرفق بتسهيل فعل الفرائض فأباح التيمم للصلاة عند الضرورة، كما رخص بقصر الصلاة للمسافر، وغير ذلك من الرخص، والرفق في العبادات من صيام وزكاة وحج.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ المائدة: ٦.

وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ

(1) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (16/1).





﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ البقرة: ١٨٥.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: "نهى النبي ﷺ عن التشديد في الدين بالزيادة على المشروع، وأخبر ﷺ أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه إما بالقدر وإما بالشرع، فالتشديد بالشرع: كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك، وصار صفة لازمة لهم"[1].

فإن كان الإسلام قد رخص للإنسان في أركانه وفرائضه، فما دون ذلك من مستحبات أولى في ترفقه وعدم تحملها ما لا تطيق لئلا يؤدي ذلك في نهاية المطاف إلى السأم ومن ثم الترك.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي ﷺ: «**لا، حلوه ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**"[2].

فالداعي الحصيف هو الذي يرفق بنفسه ولا يحملها فوق طاقتها في الدعوة إلى الله تعالى، بل يرتب الأولويات ويبدأ بالأهم فالمهم حسب طاقته.

2- الرفق واللين مع عامة الناس.

وذلك يكون بلين الجانب وعدم الغلظة والجفاء، والتعامل مع الناس بالسماحة.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**"[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "**يا عائشة إن الله رفيق يحب**

(1) إغاثة اللهفان: ابن قيم الجوزية، (132/1).
(2) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشدد في العبادة، (53/2).
(3) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، (355/4)، وقال: حديث حسن صحيح.

الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[1].

فالرفق واللين مع عامة الناس مطلب من الدعاة إلى الله تعالى لنجاح دعوتهم وقبولها.

3- الرفق واللين بالنساء.

أولى الإسلام المرأة عناية فائقة، وبوأها منزلة رائقة لم تقاربها - فضلاً عن أن تبلغها - في ظل الديانات والنظم الأخرى، يقر بهذا كل منصف مطلع على نصوص الكتاب الكريم، وهدي إمام الأنبياء والمرسلين صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم.

وقد جاء الأمر من الله تعالى بحسن عشرة الزوجة، والتغاضي عن هفواتها وتذكر حسن جميلها، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ النساء: ١٩.

وحسن العشرة للزوجة يعني: أداء حقها من مهر ونفقة، والتلطف معها، وإلانة القول لها، والصبر عليها، والإغضاء عن خطئها، والصفح عما يقع منها.

وقد حقق النبي ﷺ هذا المطلب في حياته العملية، وظل يوصي بالمرأة عموماً إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ولما وقف في حجة الوداع في أعظم تجمع إيماني خطيباً ليستعرض ركائز الدين وأهم قضايا الإسلام، كانت الوصية بالمرأة حاضرة في تلك الخطبة الهامة، فقد قال فيها: "**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله**"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "**واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا**"[3].

قال النووي رحمه الله تعالى: "استوصوا بالنساء: فيه الحث على الرفق بالنساء

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، (2003/4).
(2) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (889/2).
(3) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، (26/7).

واحتمالهن"[1].

فهذا الخلق الرفيع أولى بالداعية إلى الله تعالى أن يتخلق به في تعامله مع نسائه سواء كانت أماً أو أختاً أو بنتاً ومن له صلة هن.

4- الرفق واللين بالمدعوين.

على الداعية أن يرفق في دعوته فيشفق على الناس ولا يشق عليهم، ولا ينفرهم من الدين بأسلوبه الغليظ والعنيف، وأولى الناس بالتخلق بخلق الرفق واللين، فالدعوة إلى الله لا تؤثر ما لم تقترن بخلق الرفق اللين في دعوة الخلق إلى الحق، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ النحل: ١٢٥.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "إذا رأيتم أخاكم قارف ذنباً، فلا تكونوا أعواناً للشيطان عليه، تقولوا: اللهم أخزه، اللهم العنه، ولكن سلوا الله العافية، فإنا- أصحاب محمد ﷺ- كنا لا نقول في أحد شيئاً حتى نعلم علام يموت؟ فإن ختم له بخير علمنا أن قد أصاب خيراً، وإن ختم بشر خفنا عليه"[2].

وانظر إلى رفق إبراهيم عليه السلام مع أبيه كما قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ مريم: ٤٢ - ٤٥.

تلطف إبراهيم عليه السلام مع أبيه بأن ناداه بما يحب -صفة الأبوة- لترغيبه بما سيدعوه إليه من الحق، ولكن أغلظ عليه والده في الرد، وما زاد ذلك إبراهيم عليه السلام إلا حلماً ورفقاً بوالده، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ

(1) شرح صحيح مسلم: للنووي، (58/10).

(2) المعجم الكبير: الطبراني، باب العين، باب خطبة ابن مسعود رضي الله عنه، (110/9)، وشرح السنة، للبغوي، كتاب الاستئذان، باب تحريم اللعن، (137/13).

﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ مريم: ٤٦ - ٤٧.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: "بين الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من الرفق واللين، وإيضاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف وسماه باسمه، و لم يقل له يا بني في مقابلة قوله له يا أبت، وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان، أي: معرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا، وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتماً، والأول أظهر، ثم أمره بهجره مليا، أي: زماناً طويلاً، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضاً جوابه العنيف بغاية الرفق واللين، في قوله: سلام عليك سأستغفر لك ربي"[1].

5- الرفق واللين مع الكفار.

من أهم الأمور التي يجب أن يدركها المسلمون وخاصة الدعاة إلى الله عز وجل أن الدين الإسلامي قائم على السماحة والمحبة والرفق واللين و لم يأت أبداً سيفاً مسلطاً على رقاب المخالفين له إن لم يعترضوا انتشاره.

فهذا الاختلاف حكمة من حكمه سبحانه وتعالى حيث قال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ هود: ١١٨، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ يونس: ٩٩، إنما جاء شديداً على من أضاف إلى خصلة الكفر خصلة الظلم والبغي بغير الحق.

ويتجلى الرفق واللين مع الكفار السلميين غير المحاربين في قوله تعالى:﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ الممتحنة: ٨.

وتأتي الآية في سورة التوبة موضحة لمدى أهمية الرفق واللين مع الكفار والإحسان إليهم، أملاً في إسلامهم، وتهيئة لسماعهم آيات الله عز وجل، يقول الحق تبارك وتعالى:﴿

(1) أضواء البيان: محمد الأمين الشنقيطي، (427/3).

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ٦.

يقول الطبري رحمه الله تعالى: "يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه {فأجره} يقول: فأمنه {حتى يسمع كلام الله} وتتلوه عليه {ثم أبلغه مأمنه} يقول: ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم و لم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن، إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين"(1).

وفي غزوة أحد كسرت رباعيته ﷺ وشج رأسه فلم يزد على قوله: "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**"(2)، فما مضت إلا أعوام قليلة وأثمرت هذه الشفقة وهذا الرفق واللين في سادات الكفر فأصبحوا سيوفاً لله أسوداً في نشر دينه.

وحتى في معاملته ﷺ مع من جاوره من أهل الكتاب في المدينة نجده حريصاً على هداية صغيرهم قبل كبيرهم متحلياً بالصفح والإحسان، دافعاً بالتي هي أحسن رجاءً اعتناقهم لدين الله الحق فها هو ذا غلام يهودي قام بخدمته النبي ﷺ فمرض فأتاه ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: "**أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار**"(3)، وكان مجرد غلام، إلا أن الرحيم الرفيق بأمته رسولنا ﷺ أبى أن يغادر هذا الغلام هذه الدنيا وهو على ضلال، فسعى خلفه شفقة ورحمة، جعلت والده وهو يهودي وعلى كفر يدرك أبعاد هذا الخوف وهذه الشفقة، فيأمر ابنه أن يقول كلمة تشفع له يوم القيامة.

ولا شك أن الرفق واللين وحسن الخلق عند التعامل مع الكفار –مع ضرورة مراعات انتفاء الميل القلبي بالمودة والمحبة– أسلوب من أساليب الدعوة إلى الدين الإسلامي، حتى يرى الكافر الأثر الحسن لتطبيق أبناء هذا الدين لتعاليمه القائمة على السماحة والحاثة على البشاشة وحسن الخلق والدفع بالتي هي أحسن.

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري، (346/11).
(2) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب حديث الغار، (175/4).
(3) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، (94/2).

المحور الثالث:

أهمية الرفق واللين في الدعوة إلى الله تعالى.

فيما سبق ذكره من مظاهر للرفق واللين وبيان لزوم اتصاف أقوال وأفعال الدعاة به أثناء مخالطتهم الناس مسلمهم وكافرهم ودعوتهم إلى دين الحق تظهر أهمية الرفق واللين من خلال مزيد عرض للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال العلماء وهي كما يلي:

إن القرآن الكريم قد حفل بكثير من الآيات التي تحدثت عن الرفق واللين لفظاً ومعنى، وبينت ضرورته وأهميته ومنها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴾ الكهف: ١٦.

قال ابن عباس ﷺ: " «ويهيئ لكم»: يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتكم باليسر والرفق واللطف"[1]، وقيل أي: "يرفق بنفوسكم فيعطيها من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات"[2]، ويغنيكم فيه عن سائر الأمور.

فإذا التزم الدعاة بأوامر الله تعالى وأقاموا شرعه وعبادته حق قيام كان حقاً على الله عز وجل الرفق بهم، بنصرهم وكف أذى عدوهم عنهم.

وقوله تعالى:﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، أي: "لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم"[3].

قوله تعالى:﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ

---

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، (148/2).

(2) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، (12/5).

(3) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، (70/3).

﴿يَخۡشَىٰ﴾ طه: ٤٣ – ٤٤، أي: " فقولا له قولا لينا -ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له، هو أن يكنياه- فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه"[1].

وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ الفرقان: ٦٣، أي: "بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله"[2].

وقال مجاهد رحمه الله تعالى: "يمشون بالوقار والسكينة، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي: سداداً. قال الحسن: لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلموا"[3].

ومما تقدم من الآيات القرآنية وغيرها الكثير الحاثة على الرفق واللين، فيها دلالة مؤكدة على أهميته الرفق واللين، كما أن لتعدد الآيات دلالة واضحة على سماحة دين الإسلام وأنه دين رفق ولين ورحمة لا عنف وغلظة.

وردت أحاديث كثر في الرفق واللين تؤكد على ما دلت عليه الآيات السابقة فمنها:

عن عائشة، رضي الله عنها عن النبي ﷺ، قال: **"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"**[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **"من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير"**[5].

وعن عائشة، رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **"يا عائشة إن الله رفيق يحب**

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: ابن جرير الطبري، (313/18).
(2) المرجع السابق: ابن جرير الطبري، (293/19).
(3) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، (327/3).
(4) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، (2003/4).
(5) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء الرفق، (367/4)، وقال حديث حسن صحيح.

الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[1].

وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار، على كل قريب هين سهل"**[2].

هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أهمية الرفق واللين في حياة المسلم وخاصة في حياة الداعية إلى الله تعالى، وبذلك قدم الدين الإسلامي منهجاً متكاملاً ينبغي السير عليه.

للعلماء أقوال واردة في الرفق واللين تبين أهميته في الدعوة إلى الله تعالى منها ما يلي:

قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: "يأمر بالرفق والخضوع، إن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فلا بد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحبا في هذه الأحوال"[4].

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: "عليك –يا عبد الله– أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليماً صبوراً، سلس القيادة، لين الكلام، طيب الكلام، حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب ومفرق لا جامع"[5].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، (2003/4).

(2) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، (654/4)، وقال حديث حسن غريب.

(3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أبو بكر الخلال، باب ما يؤمر به الرجل من الأعمال، ص (28).

(4) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ابن تيمية، ص (20، 21).

(5) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله: عبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين، وصالح آل

المحور الرابع:

بيان الانحراف عن الرفق واللين،

وما ينتج عن ذلك من آثار سيئة على المدعوين.

إن الانحراف والميل والحيادة عن هذه القاعدة العظيمة والخصلة الحميدة والخلق الفضيل يترتب عليه آثار سيئة تضر بالدعوة إلى الله، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: أنواع الانحراف.

يكون الانحراف عن الرفق واللين في اتجاهين متعاكسين ينتج عنه نوعين للانحراف:

النوع الأول: انحراف إلى ضد الرفق واللين.

وهو انحراف إلى العنف والغلظة والخشونة والشدة والفظاظة في الدعوة، وقد جاء النهي والتحذير عن هذا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى:﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ آل عمران: ١٥٩.

وقال تعالى:﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ الإسراء: ٢٣.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**" [1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال "**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**"[2].

ولا تستخدم الغلظة والشدة إلا في مواطن محدودة جداً كالمعاند والمكابر وأحياناً في

الشيخ، ص (26).

(1) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة، (350/4)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

(2) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب فضل الرفق، (2004/4).

جدال أهل الباطل الذين لهم أثر سيء على الناس، ولا تكون الشدة إلا بعد أن يتم نصحهم بالرفق واللين و لم يجدي ذلك فيهم، وكذلك تستخدم الشدة والحزم مع من يؤمن عليه من ردة فعل وأثر سيء كأن يرتد المسلم عن دينه والعياذ بالله، ومما يدل على ذلك ما يلي:

- قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾ النساء: ٦٣، أي: "أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي: من النفاق والزيغ، وقال ابن عباسرضي الله عنه: إضمارهم خلاف ما يقولون فأعرض عنهم ولا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي: تقدم إليهم: إن فعلتم الثانية، عاقبتكم"[1]. وقيل"هذا الضرب من الناس هم المنافقون، والله يعلم ما في قلوبهم وسيجزيهم على ذلك، فإنه لا تخفى عليه خافية، فاكتف به يا محمد فيهم، فإن الله عالم بظواهرهم وبواطنهم؛ ولهذا قال له: {**فأعرض عنهم**} أي: لا تعنفهم على ما في قلوبهم {**وعظهم**} أي: وانههم على ما في قلوبهم من النفاق وسرائر الشر {**وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا**} أي: وانصحهم فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم"[2].

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ١٢٣، أي: "وليجد الكفار منكم غلظة عليهم في قتالكم لهم، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر، كما قال تعالى﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ المائدة: ٥٤ ، وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ الفتح: ٢٩ ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ التحريم:٩" [3].

- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: "**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده**"، **فقيل للرجل بعد**

---

(1) زاد المسير في علم التفسير: لابن الجوزي، (427/1).
(2) تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، (347/2).
(3) المرجع السابق: لابن كثير، (238/4).

ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ"[1].

فدلت الآيات والحديث على أنه يمكن استخدام الغلظة والشدة في الدعوة إلى الله تعالى في بعض الحالات كما تقدم بيانها.

كما أن الانحراف إلى العنف والشدة والغلظة والخشونة في الدعوة ينتج عنه آثار سيئة منها:

- نفور المدعوين من الداعي، فبذلك تفشل دعوته، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران: ١٥٩.
- عدم الاستجابة للداعي، وعدم تقبل دعوته، ومما لا شك فيه أن النفس جبلت على الميل لكل من أحسن إليها، وتلطف معها، والبعد عن كل غليظ القلب، وفظ المنطق.
- تشويه للإسلام، والظن بأنه دين العنف والإرهاب.
- الصد عن الإسلام، والتسبب في عدم دخول أغلب غير المسلمين في الإسلام، أو خروج وردة بعض المسلمين منه.
- فقدان القدوة والثقة، ومما لا شك فيه أن لذلك أثر كبير على حدوث فوضى بين بعض المسلمين وبعدهم عن الامتثال والتطبيق الصحيح لشرائع الإسلام، وكذلك له أثر على غير المسلمين بعدم التصديق لما يقال عن سماحة الإسلام لم يرونه من مخالفة فعل الداعي إلى الإسلام مع قوله.

النوع الثاني: انحراف إلى الغلو في الرفق واللين:

إن الغلو في الرفق واللين يخرجهما عن المسار الصحيح، ويتسبب في الوقوع في المداهنة وتمييع الدين المنهي عنهما في آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ.

ولا بد من معرفة الفرق بين المداهنة المحرمة والمداراة المستحبة وفيما يلي بيان ذلك:

قال ابن بطال رحمه الله: "المداراة مندوب إليها، والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب طرح خاتم الذهب، (1655/3).

من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك" [1].

وقال القرطبي رحمه الله تعالى في الفرق بينهما: "أن المداراة: بذل الدنيا لصلاح الدنيا، أو الدين، أو هما معاً، وهي مباحة وربما استحبت، والمداهنة: ترك الدين لصلاح الدنيا"[2].

فتبين أن المداراة مباحة لأنها في صالح الدين والدنيا فيما هو مباح شرعاً، وأما المداهنة فمحرمة لأن فيها ضرر على الدين لتركه من أجل الدنيا وقد تفسد الدنيا كذلك بسبب ترك الدين.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٧٣ - ٧٥.

وبين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى خطورة المداهنة في تفسيره للآيات السابقة، فقال: "وقوله {وإذاً لاتخذوك خليلا} يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دعوك إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خليلا وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

والقول في تأويل قوله تعالى: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا} يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة {لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا}.

يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئاً قليلا وذلك ما كان ﷺ هم به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله ﷺ حين نزل قوله {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا}: لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

والقول في تأويل قوله تعالى: {إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا}، يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئاً قليلا بما

(1) فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، باب المداراة مع الناس، (528/10).

(2) المرجع السابق: باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، (454/10).



سألوك إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات"[1]، وقال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ القلم: ٩، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: "أن في تفسير هذه الآية قولين وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جل ثناؤه: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات} وإنما هو مأخوذ من الدهن شبه التليين في القول بتليين الدهن"[2]. فدلت الآيتين السابقتين على النهي عن المداهنة في الدعوة إلى الله تعالى وخطورة ذلك على الدعوة.

وكذلك جاء في السنة ما يدل على أثر المداهنة في الدعوة إلى الله تعالى وما يترتب عليها من مفاسد عظيمة.

فعن عائشة رضي الله عنها، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: "**أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**" [3].

فإن المداهنة والتمييع الناتجين عن الغلو في الرفق واللين كلاهما يتساهلان في التنازل عن بعض مبادئ وأصول الدين لمصالح دنيوية لإرضاء مسؤول أو حب الشهرة أو لهوى النفس.

(1) جامع البيان في تأويل القرآن: لابن جرير الطبري، (808/17).
(2) جامع البيان في تأويل القرآن: لابن جرير الطبري، (534/23).
(3) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (175/4)، وأخرجه مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، (1315/3)، واللفظ للبخاري.

في الختام،

يمكن القول إن الرفق واللين هما أسس أساسية لدعوتنا إلى الله تعالى، إنهما الأدوات التي تساعدنا على التواصل بفعالية مع الآخرين ونشر رسالتنا الدينية بطريقة تلامس قلوبهم وتؤثر فيهم.

باستخدام الرفق، نتعامل مع الآخرين بلطف وتعاطف، نحن متفهمون لظروفهم ومشاكلهم، ونقدم لهم الدعم والمساعدة؛ بينما يتجلى اللين في أسلوبنا في التواصل، حيث نتحلى بالودية واللباقة، ونعبر عن أفكارنا ومعتقداتنا بأسلوب هادئ ومقنع.

إن استخدام الرفق واللين في دعوتنا يخلق جواً من الألفة والثقة بيننا وبين الآخرين. يتسم هذا الأسلوب بالتأثير والتأثر، حيث ينجح في إيصال الرسالة وإثارة الاهتمام والاستجابة من قبل الآخرين.

لذا، لنكن دعاة يتسمون بالرفق واللين في تعاملنا مع الناس، ولنستخدم هذه الصفات الحميدة كأدوات لجذب الناس إلى الله وللمساهمة في بناء مجتمع متعاون ومحب. فالرفق واللين هما سرّ النجاح في دعوتنا إلى الله تعالى وتحقيق رضاه ومحبته.

فلنكن دعاة رفقاء ولطفاء، ولنسعَ بكل جهودنا لأن نكون مثالًا يُحتذى به في تبليغ رسالة الإسلام، ولنجعل الرفق واللين خيوطًا تربط بين قلوبنا وقلوب الآخرين، فقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم لنا أجمل الأمثلة في الرفق واللين، ونحن بدورنا علينا أن نتبع خطاه ونمارس هذه الفضيلتين في كل جانب من جوانب حياتنا.

إن تأثيرنا الإيجابي يبدأ بالرفق واللين، فلنكن أنصاراً لهذه القيم النبيلة ولنعمل جميعًا على نشرها وتعميمها في مجتمعنا. إن الرفق واللين هما سلاحنا الأقوى في بناء جسور التفاهم والمحبة والسماحة، وهما أساس تقدمنا وازدهارنا كمجتمع وكأفراد.

فلنمارس الرفق واللين في حياتنا اليومية، سواء في التعامل الشخصي مع الأسرة والأصدقاء، أو في التفاعل مع المجتمع والزملاء، وخاصة عند دعوة الآخرين إلى الله تعالى. لنتذكر أن الأدوات اللطيفة والكلمات اللينة تفتح القلوب وتجذب الانتباه وتصنع التغيير الإيجابي.

في النهاية، لنجعل الرفق واللين هما الأسلوب السائد في حياتنا، ولنتطلع إلى أن يكونوا



سمة مميزة لنا كدعاة إلى الله تعالى. ولنتذكر دائمًا أن قوة الرفق واللين تكمن في قدرتهما على تغيير القلوب وبناء العلاقات المستدامة والمحبة، وهما مفتاح النجاح في مهمتنا السامية في نشر الخير والإحسان في العالم.

فلنكن دعاة يتسمون بالرفق واللين، ولنسعَ بكل قوتنا ليكونا جزءًا لا يتجزأ من شخصيتنا وأسلوبنا في الحياة. ولنبذل الجهود اللازمة لتعزيز هذه القيم في أنفسنا وفي مجتمعنا، حتى نصبح قدوة حسنة للآخرين ونساهم في بناء عالم أكثر رفق ولين وسلام.

فلنتعهد اليوم بأن نمارس الرفق واللين في كل جانب من جوانب حياتنا، ولنسعَ لترسيخهما في قلوبنا وأفعالنا، فإنهما ستكونا القوة التي تحقق التغيير الحقيقي والإيجابي في العالم من حولنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات